من المقْولة ورصف المباني إلى الفهم وإدراك المعاني

د/ حسين عبد القادر

مدخل:

الاهتمـــام بـالإدراك وعمـل الـذهن البشـري فهمًـا وتحلـيًلًا ، تفسـيرًا وتـأويلًا ؛ قـد يكـون قـديمًا قـدم الحضـارة اليونانيـة ، أو الحضـارة الرومانيـة ، أو الحضـارة العربيـة الإسـلامية ، أو ربمـا ظهـر مـع الثـورة المعرفيـة فـي الثقافـة الغربيـة فـي القـرنين السـابع عشـر والثـامن عشـر الميلاديـين ، أو ظهـر فـي سـبعينيات القـرن العشـرين ، هـذه رؤيـة تأريخيـة تحتـاج إلـى دليـل ، أو دراسـة تأريخيـة مدققـة ؛ لكـن ممـا لا شـك فيـه أن الالتفـات إلـى الـذهن كـان مـع ظهـور كتـاب " الاسـتعارات التـي نحيـا بهـا " " metaphors we live " لجـورج لايكـوف ومـارك جونسـون عـام 1980 م ؛ وربمـا سـاعد علـى الالتفـات إلـى الـذهن وكيفيـة إدراكـه مـا حـدث مـن تطـور متسـارع فـي علـوم الـذكاء الاصـطناعي ، والعلـوم العصـبية خاصـة فـي النصـف الثـاني مـن القـرن العشـرين ؛ لمـا لهـذه العلـوم مـن ارتبـاط وثيـق مـع العلـوم الإدراكيـة ؛ حيـث إن العلـوم الإدراكيـة تسـعى إلـى دراسـة العمليـات الذهنيـة دراسـة موسـوعية ؛ ومـن ثـم فـإن الإدراكيـات تهـتم بدراسـة علـم الـنفس الإدراكـي ، والـذكاء الاصـطناعي ، وعلـوم الأعصـاب ، والأنثربولوجيـا الاجتماعيـة ، بـل وحتـى العلـوم الفلسـفية ، والباحـث فـي هـذا البحـث يركـز دراسـته علـى ثلاثـة محـاور المحـورين الأولـين عـن عنصـرين مهمـين مـن عناصـر الإدراك وهمـا : المقولـة والفهـم ، ثـم ثالثهمـا جانـب تطبيقـي يمثـل التقابـل الخطـابي والنظريـة الإدراكية في القرآن الكريم ،على النحو التالي :

أولًا – المقْولة : Categorization

كانـت " الشـروط الضـرورية والكافيـة " Necessary and Sufficient Criteria هـي الضـابط المـوروث منـذ العهـد اليونـاني الأرسـطي

لتحديد مفهوم مقولة ما ، لكن مفهوم المقْولة Categorization تحول تحولًا جذريًا منذ منتصف القرن العشرين بعد أن أصدر "فتغنشتاين " كتاب بحوث فلسفية / تحقيقات فلسفية ، وهذا الكتاب تناول فيه "فتغنشتاين " بعض المفاهيم التي هيأت لظهور نظرية الطرز مثل : " الألعاب اللغوية " ، أو " التشابه العائلي "1 ، وهذه المفاهيم كان لها دور كبير في إعادة تشكيل التفكير البشري على مستوى اللغة والمنطق ، وقد انعكس ذلك على نظرية المقْولة التي كانت رهينة التفكير المنطقي الأرسطي ؛ حيث لم يعد معيار " الشروط الضرورية والكافية " هو الذي يحدد انتماء عنصر ما إلى مقْولة ما ، بل أصبح معيار التشابه بين العناصر هو المحدد لهذا الانتماء ، وبهذا تم توظيف مفهوم التشابه العائلي من قبل علماء النفس المعرفي ، وأنصار اللسانيات المعرفية وتأسس بذلك الإطار لنظرية " النمذجة " ، أو " الطرز " على حساب النظرية التقليدية للمقولة ، والتي ترسخت وتوسعت مع " جورج لايكوف " في النصف الثاني من القرن العشرين ، فإذا كان انتماء عنصر معين إلى مقولة ما – في النظرية التقليدية – رهين باستيفاء ذلك العنصر لمجموع الشروط الضرورية والكافية فإن هذا المعيار لا يحقق الفائدة إلا في إطار النظرية المعجمية – التي تعطي للفظ معنى واحدًا أو وحيد – والنظرية الأنطولوجية 2 ؛ بحيث إن انتماء الأشياء إلى مقولة ما مؤسس على ما هو طبيعي يوافق ماهية الشيء ؛ أي خصائصه الضرورية والكافية والخصائص الواقعية وأن تكون عناصر المقولة ذات الخصائص نفسها متطابقة مع مرجع المقولة ؛ ولهذا فإن معيار الشروط الضرورية والكافية الذي ظل يطبق قرونًا بدأ يفقد أهميته – وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين– وأخذ مفهوم التشابه العائلي يكتسب فاتدته ونجاعته في تحديد النماذج المعرفية لإدراك طبيعة اللغة والعالم الخارجي ، ومن ثم فإن العلاقة بين المقولة وما نتصوره لا يمر عبر التطابق بين المقولة ووجود العناصر التي تنطوي عليها في

الواقع ، بل يمر عبر علاقة المشابهة والقرابة التي ألفناها بين مقولة ما والعناصر التي تدخل في إطارها .

والدلالة المعرفية أو علم الدلالة المعرفي / العرفاني " نظرية في المقْولة أساسًا ، ذلك أن المقْولة تؤسس لكل ممارساتنا الإدراكية ، وتحكم نشاطنا الذهني واللغوي ، فسؤال الانتماء إلى المقْولة ، وعلى أي أساس يتحدد انتماء عنصر ما إلى مقْولة ما ؟ هو الذي يحدد طبيعة إدراكنا للعالم ، وإدراكنا لذواتنا ، وتحديدنا لكل معنى ، وقد أسس العرفانيون لنظامٍ في المقْولة تجاوز النظام الأرسطي ، نظام الشروط الضرورية والكافية ، قلبوا به تصوراتنا عن الإنسان والعالم واللغة "3

فتحليل المعنى في العلوم الإدراكية يقوم على التداخل بين العلوم ؛ فإذا كان علم الدلالة المعرفي / العرفاني نظرية في المقْولة ، فهو أيضًا "نظرية في الفهم ، فقد أسس العرفانيون لرؤية إنسانية نسبية للفهم تتجاوز الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية ، وهي الرؤية التي تتبناها النظريات الموضوعية التي رفضت " الفهم " لأنه مفهوم يستدعي الذاتية الإنسانية في تحقيق المعنى الموضوعي بطبعه ، في نظرها ، بمعزل عن أي إدراك فردي له ، ذلك أن المعنى عندها موجود سلفًا قبل وعينا به "4

إن علماء النظرية الإدراكية كما يتضح من كلام الدكتور البوعمراني يدفعهم إيمانهم بالنظرية المعرفية في اللغة إلى التحول من ميدان الفلسفة ، إلى ميدان علم النفس ، وذلك بحكم إيمانهم أيضًا بالتكامل المعرفي بين العلوم . وعلم الدلالة المعرفي / العرفاني " نظرية في الخيال ، فالخيال عند العرفانيين هو جوهر المعنى والتفكير الإنسانيين ، وهو الذي يبنين جزءًا كبيرًا من نظامنا التصوري .وبُنى المُتخيل هي الملك المشترك الذي من خلاله نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتخاطب بيننا ، وقد حظيت الاستعارة في هذا الإطار بالنصيب الأوفر من اهتمام العرفانيين منذ الكتاب الحدث للايكوف وجونسن " الاستعارات التي نحيا بها " "5

الـذهن الـمُتخيل لابـد لـه مـن تجسـيد واقعـي لمـا يتخيلـه مـن معـان ؛ لـذلك كانـت العلاقـة بـين المعرفـة والجسـد علاقـة وطيـدة الصـلة ، ولهـذا فلـيس بمسـتغرب أن يكـون " علـم الدلالـة المعرفـي / العرفـاني " نظريـة فـي المعنـى الـمُتجسد ، بمـا أنـه لا وجـود للمعنـى والخيـال بعيـدًا عـن عالمنـا الـمُتجسد ، فـنحن نـدرك العـالم ونفهـم الأشـياء مـن حولنـا انطلاقًـا مـن حضـورنا الجسـدي فـي الزمـان والمكـان ، فمكـان الإدراك ، ومسـافة الإدراك ، وطريقـة الإدراك ، وزاوية الإدراك ، هي التي تحدد طبيعة فهمنا للشيء المُدرَك "6

وهـذا مـا يُـعرف – أيضًـا – بالنظريـة التصـورية التـي تـرى فـي مسـلَّمتها أن المعنـى الموجـود هـو معلومـات مرمـزة وممثلـة فـي الـذهن البشـري ، والتمثيـل/ التجسـيد يمثِّـل جـزءًا مـن التصـور الـذهني للـدخل الخـارجي ؛ لـذلك كـان التمثيـل هـو ذلـك العـالم ؛ فالإنسـان لا يتحـدث عـن أشـياء إلا ولـه انطبـاع وتمثيـل عنهـا فـي ذهنـه ، لـذا فإننـا نتحـدث عـن مَقُولـةٍ للواقـع ؛ أي : عـن ترميـز للمعلومـات فـي الـدماغ ، وحينمـا يحصـل ذلـك الترميـز يكـون قـد حصـل التمثُّـل الـذهني الإدراكـي / المعرفـي / العرفـاني وبالتـالي، فـالترميز آلية من آليات التمثُّل .

" إن الانتمـاء إلـى المقْـولة لا يـتم بصـورة تحليليـة ، بمقارنـة كـل خاصـية مـن خاصـيات الشـيء بكـل خاصـية مـن خاصـيات الطـراز ، ولكـن الأمـر يـتم بشـكل كلـي . وهـذا مـا يجعـل مـن نظريـة الطـراز تخـالف النظريـة الكلاسـيكية ، وعلـم الدلالـة البنيـوي تحديـدًا ، ولنأخـذ المثـال الـذي ضـربه عبـد الله صـولة نموذجًـا ، وهـو تعريـف الثعـالبي لمقولـة الطيـر ، حيـث يقـول محـاولًا إثبـات أن تعريـف الثعـالبي تعريـف طـرازي " إن الثعـالبي لـم يعتمـد فـي تحديـد مفهـوم الطيـر مبـدأ السـمات التمييزيـة مـن قبيـل " لاحـم / غيـر لاحـم " " داجـن / غيـر داجـن " " قـادر علـى الطيـران / غيـر قـادر " . وإلا لمـا كـان النسـر فـي مقولـة واحـدة مـع الحمـام أو مـع الـديك . وإنمـا اعتمـد الثعـالبي مبـدأ المشـابهة الإجماليـة ... مـن حيـث الصـورة . وهـذا المبـدأ هـو أسـاس المقْـولة فـي نظريـة الطـراز (وتحديـدًا الطـراز باعتبـاره محـور المقولـة) . ممـا جعـل

الـديك علـى سـبيل المثـال فـردًا مـن المقولـة التـي تضـم النسـر "7 ، إن مـا رآه الـدكتور عبـد الله صـولة هـو محاولـة لتأصـيل هـذه النظريـة ، وإظهـار دور علمـاء اللغـة القـدامى و المسـلمين مـنهم فـي تطبـيقهم لهـذه النظريـة بشـكل تلقـائي فرضـته علـيهم رغبـتهم فـي تحديـد المفـاهيم ، ودقـة الوصـف . ولتوضـيح الفـرق بـين المقولـة فـي النظريـة الطرازيـة فـي المفهـوم الإدراكـي ، والشـروط الضـرورية والكافيـة فـي المفهـوم الكلاسـيكي نعـرض النقـد الـذي نقلـه الـدكتور عبـد الله صـولة مـن نظريـة الطـراز إلـى نظريـة الشـروط الضـرورية والكافية ؛ حيث وجهت نظرية الطراز نقدها لاعتبارين هما :

1 – " كـون السـمات فـي منـوال (ش ض ك) ليسـت سـمات تمييزيـة دائمًـا ؛ ذلـك أن اعتبـار الخصـائص الـثلاث : حيـوان ، بـائض ، ذو منقـار شـروطًا ضـرورية وكافيـة لكـي تَعُـد العنصـر (س) منتميًـا إلـى مقْـولة الطيـر دون غيرهـا مـن مقـوْلات الحيـوان اعتبـار متهافـت لكـون الثعـابين بيوضـة هـي أيضًـا ، والقنافـد الأسـترالية ..... حيوانـات بائضـة وذات منقـار كـذلك رغـم أنهـا مـن الثـدييات وليسـت طيـورًا ، وإذن فـإن خصـائص حيـوان بـائض ، ذو منقار ، لا يمكن أن تمثل خصائص ضرورية تميز مقْولة الطير .

2– عـدم كفايـة منـوال (ش ض ك) للإلمـام بجميـع عناصـر المقـوْلة : يمكـن أن يوجـه مثـل هـذا النقـد إلـى علـم الدلالـة المعجمـي برمتـه . إن السـمات الدلاليـة المشـكلة حسـب بوتييـه .. لمحتـوى المعـنم " كرسـي " وهـي " للجلـوس " " لشـخص واحـد " " لـه قـوائم " " لـه مسـند " هـي الشـروط الضـرورية والكافيـة لتسـمية مقعـد مـا كرسـيًا . لكـن واقـع الكراسـي المتجـدد يكـذب هـذه الشـروط ؛ إذ إن مـن الكراسـي مـا هـو بقـائم واحـد مثبـت فـي الأرض بـل ومنهـا مـا هـو بـدون قـوائم أصـلاً وإنمـا لـه ذراع حديديـة يقـوم عليها "8

فنظريـة " الشـروط الضـرورية والكافيـة " لا تكفـي إذن لتحديـد انتمـاء عنصـر مـا إلـى مقولـة مـا ؛ لأنهـا لا تسـتطيع الإلمـام بجميـع عناصـر المقولـة ، فالمقولـة كمـا رأى الـدكتور عبـد الإلـه سـليم تـتم " فـي نظـر الاتجـاه

الموضـــوعاني بواســـطة الشـــروط الضـــرورية والكافيـــة فالموضـــوع س ينتمـــي إلـــى المقولـــة ص إذا كـــان يقاســـم بـــاقي موضـــوعات ص ســـمات مشـــتركة . إن كلبًـــا معينًـــا ينتمـــي إلـــى المقولـــة [كلـــب] إذا كـــان يحمـــل ســـمات واردة فـــي هـــذه المقولـــة "9 ، وهـــذا كمـــا وَضُـــح مـــن خـــلال النقـــد الـــذي وجهتـــه نظريـــة الطـــرز لا يكفـــي فقـــد يحمـــل العنصـــر الســـمات المشـــتركة ولا ينتمـــي إلـــى نفـــس المقولـــة فالثعبـــان يبـــيض ولـــيس طيـــرًا ، والقنفـــد الأســـترالي يبـــيض ولـــه منقـــار ومـــع ذلـــك لا ينتمـــي لجماعـــة الطيـــر ، ولـــذلك كـــان تحديـــد مســـتويات ثـــلاث لتصـــنيف المقولـــة فـــي نظـــر الإدراكيـــين هـــو التصـــنيف الأمثـــل ؛ حيـــث جعلـــوا المقولـــة تعتمـــد علـــى مســـتويات ثلاثـــة تتـــدرج مـــن الادنـــى إلـــى الأعلـــى : المستوى الأدنى – المستوى القاعدي – المستوى الأعلى .

انطلاقا من هذه المستويات يمكن أن نصنف الأنواع الطبيعية للنباتات فنقول مثلا؛ إن النبات يشكل المستوى الأعلى، والشجر يمثل المستوى القاعدي ، والتين يوجد في المستوى الأدنى .وهو نفس الأمر يمكن القيام به فيما يتعلق بالحيوانات والأشياء . ويعتبر المستوى القاعدي ضمن هذا التصنيف من أكثر المستويات استخداما ، لأنه يمتلك صفات دلالية مشتركة ، وله القدرة على توجيه المعرفة المرتبطة بالمقُولة إما إلى الاتجاه الأعلى أو إلى الاتجاه الأسفل 10

" المقولـــة إذن عمليـــة ذهنيـــة تعكـــس التفاعـــل بـــين التجربـــة النشـــطة والنمـــاذج الذهنيـــة المؤمثلـــة . إذ تمكننـــا مـــن الجمـــع داخـــل مقولـــة واحـــدة ، وبالتـــالي التمثـــل والتخـــزين ، بـــين موضـــوعين متشـــابهين أو متجـــاورين أو يـــدخلان فـــي إطـــار معرفـــي مشـــترك . ولا يكتفـــي فعـــل المقولـــة بـــالجمع بـــين الموضـــوعات ، بـــل إننـــا نمقـــول الأحـــداث كمقولـــة فعـــل الكتابـــة أو الرســـم ... إلـــخ ، ونمقـــول الانفعـــالات كالغضـــب والحـــزن والحـــب ...إلـــخ . إن المقولـــة ســـلوك يولـــد مـــع الإنســـان ، ويصـــاحبه فـــي حياتـــه حتـــى المـــوت ، وبـــدون هـــذا الســـلوك تصـــبح حياتنـــا مســـتحيلة ، وعـــادة مـــا تكـــون المقولـــة تلقائيـــة وعفويـــة ولا نقـــف عنـــدها إلا فـــي الحـــالات المستعصـــية كـــأن نســـأل أحـــدًا هـــل الزيتـــون فاكهـــة ؟ " 11 ،

فالمقولة بهذا تعد وسيلة يمكن بها رصف الأشياء وبناء نماذج حسب الشكل أو المعنى " وهي لا محالة آلة ذهنية عبقرية يقوم بها جميع الناس بلا استثناء حتى أنه لا يبدوا أحيانًا أن معظم عمليات المقولة عمليات آلية غير واعية ..... وهذا يؤدي بنا أحيانًا إلى انطباع – مفاده – أننا نمقول الأشياء كما هي ، وأنها تأتي على شكلها الطبيعي ، وأن مقولاتنا العقلية تناسب أنواع الأشياء في العالم . وهذا يتعلق ولا ريب بتصنيف جميع الناس والحيوانات والأشياء المادية المحسوسة ، والظاهر أن الأمر نفسه ينطبق على المجردات ذلك أننا لا نصنف ما هو مادي فقط ، بل إننا نصنف أحداثًا ،ومواقع وأزمنة ، وعلاقات اجتماعية ، وعواطف ، ومن هنا كان البحث في طبيعة تشكيل المقولات والمباديء التي يقوم عليها هذا التشكيل " 12

ترك نظرية " الشروط الضرورية والكافية " التي كانت سائدة لفترات طويلة من الزمن والأخذ بنظرية " الطرز " ذلك لما وجدوا فيها من كفاية وأفضلية حيث إن نظرية الطرز تعتمد على بعدين: البعد الأفقي حين " تعتمد على سلمية واقعية داخل المقولات لتعوض مفهوم مجموع الشروط الضرورية والكافية بمفهوم مشابهة الطرز الذي أصبح بهذا أساس المقولة .فالطراز هو أفضل ما يمثل المقُولة، ويُعرّف على نحوإحصائي بنسبة تواتره في الذكر "13، والبعد العمودي ما يُعرف بالبنية بين المقولات "فالشيء الواحد قد ينتمي إلى مقولات مختلفة "14

ومن ثم فإن أنصار هذه النظرية (نظرية الطرز) وجدوا في النظرية التقليدية ارتباط بالمعنى المعجمي أكثر من دلالة المشابهة ،وهذا لا يكفي وحده لبناء مقْولة ما للعناصر والأشياء ، ونظرًا لتطور العلوم وتداخلها وُجد أن هذه النظرية ارتبط ظهورها لا بعلماء اللسان ولكن بعلماء علم النفس الإدراكي حيث" تتناول الفرضية النفسانية أساسًا الألفاظ المتعددة الأبعاد ، والألفاظ المتعلقة بالملاحظة على نحو عرضي فحسب ، وهي فرضية حديثة لا تُعزى إلى لسانيين ، وإنما إلى علماء نفس كانوا

يشتغلون بالمتصورات في نطاق علم النفس العرفاني ، وهو فرع من علم النفس لا يعنى بدراسة المشاعر ولا بالاضرابات العقلية ولكنه يعنى باشتغال الفكر . وقد قامت هذه الفرضية النفسانية المعروفة باسم نظرية الطرازات ضد النظريات الفلسفية أو اللسانية التقليدية المتعلقة بالمتصورات من ناحية والمعجم من ناحية أخرى "15، وارتبط علم اللغة الإدراكي في بداية نشأته بعلماء الفلسفة ، وهو أيضًا لتداخل العلوم وتطورها في القرن العشرين فكان الاتجاه لدراسة الدماغ البشري وكيفية عمله فنجد أن صاحبي كتاب "الفلسفة في الجسد "يرون أن المقولة " ناتجة عن الكيفية التي نحن مجسدون بها . نحن نشأنا لنمقول ، لولم نفعل لما استمررنا في الحياة . ليست المقولة جزء كبير من منتوجات الفكر الواعي . إننا نمقْول كما نمقْول لأن لنا الأدمغة والأجساد التي لنا ، ولأننا نتفاعل في العالم بهذه الطريقة التي نتفاعل بها "16

لهذا فأنصار نظرية الطرز يرون أن المقولة جزء كبير منها ينشأ بصورة لا واعية ، والجزء القليل من مقْولاتنا هو الذي يحدث بصورة واعية يقول صاحبا كتاب " الفلسفة في الجسد : " إن نسبة مئوية ضئيلة من مقْولاتنا تكونت من خلال أعمال مقْولة واعية ، ولكن جل هذه المقُولات تكونت بصورة آلية لا واعية نتيجة اشتغالنا في العالم . وحتى وإن كنا نتعلم مقُولات جديدة بصورة آلية ولا واعية نتيجة اشتغالنا في العالم . وحتى وإن كنا نتعلم مقولات جديدة بصورة مطردة ، فإننا لا نستطيع أن نقوم بتغييرات كبرى في أنسقتنا المقُولية عبر أعمال واعية لإعادة المقولة (إن كانت تجربتنا في العالم تُخضِع مقُولاتنا لاعادة تشكيل لا واعية وتغيير جزئي) . ليس لنا ولا نستطيع أن يكون لنا ، تحكم واعٍ في كيفية المقولة ، وحتى عندما نعتقد أننا نكوّن بكل حرية وتعمد مقولات جديدة ، فإن مقولاتنا اللاواعية تتدخل في اختيارنا للمقُولات الواعية الممكنة "17

وعند النظر إلى علم شغل الناس وما زال يشغلهم في الدرس اللغوي في اللسان العربي ، وهو علم النحو وجد أنصار نظرية " المقولة " أنها لم

تكـــن عنـــد النحـــاة " مقتصـــرة علـــى (ش ض ك) [الشـــروط الضـــرورية والكافيـــة] ولا علـــى العلامـــات ؛ بـــل إنهـــم اعتمـــدوا مـــع ذلـــك ثنائيـــة الأصـــل والفـــرع يرتبـــون بهـــا الكلـــم والمقْـــولات ترتيبًـــا تقابليًـــا يجعـــل أحـــدها أصـــليًا فـــي امـــتلاك المقْـــولات النحويـــة وفـــي الاســـتجابة إلـــى الأحكـــام ، ويجعـــل الثـــاني فرعًـــا لـــه لا يتحقـــق فيـــه مـــن المقـــولات والأحكـــام إلا نســـبة قليلـــة . وإعـــادة توزيـــع أقســـام الكـــلام الكبـــرى وفـــق الأصـــل والفـــرع يجعلنـــا ننظـــر إلـــى تصـــنيفها مـــن وجهـــة نظـــر تدريجيـــة ثنائيـــة فمنهـــا مـــا يحقـــق المقـــولات بـــامتلاء ومنهـــا مـــا يحققهـــا بشـــكل جزئـــي . تقـــوم الطرازيـــة فـــي التصـــور العرفـــاني علـــى الاسترســـال والتـــدرج وهـــذا المبـــدأ تجـــده فـــي مقْولـــة الأصـــل والفـــرع النحويـــة . لكـــن الفـــرق ههنـــا أن التـــدرج ثنـــائي ولـــيس استرســـاليًا ؛ ذلـــك أن القـــول بأصـــلية قســـم مـــن أقســـام الكـــلام وفرعيـــة آخـــر يكـــون اســـتنادًا إلـــى درجـــة اســـتجابته للشـــروط التـــي تكفـــل تحقيـــق مفهـــوم مـــن المفـــاهيم النحويـــة أو مقْولـــة مـــن المقْـــولات . فـــإن كـــان تحقيـــق المفهـــوم فيـــه أو المقْولـــة أكثـــر عُـــد أصـــلًا وإلا فإنـــه يكـــون فرعًـــا علـــى غيره "18

المقْولـــة فـــي نظـــر الإداكيـــين –إذن– ضـــرورية لأننـــا نســـتعمل تجربتنـــا الســـابقة لتأويل التجارب الجديدة لذلك " فإنّ القدرة على المقْولة ضرورية لا غنى عنها في استعمال التجربة السابقة لتوجيه تأويل التجربة الجديدة .إذ دون مقْولـة، تكـون الـذاكرة عديمـة الفائـدة "19 ، وإن كـان علمـاء اللسـان يختلفـون فـي نظـرتهم إلـى نظريـة الطـرز عـن علمـاء الـنفس يقـول الـدكتور صـابر الحباشـة :" إن نظريـة الطـراز هـي نظريـة المقْولـة ، ولمـا كانـت كـذلك ، فإنهـا ليسـت نظريـة دلالـة الكلمـة أولًا . إن لفـظ دلالـة فـي تسـمية الطـراز أو حتـى عبـارة مقولـة دلاليـة ، لا تغطّـي عنـد علمـاء الـنفس الحقـائق ذاتهـا التـي نجـدها عنـد علمـاء اللسـان إذ يمكـن أن يسـتعمل علمـاء الـنفس الطـراز للحـديث عـن المفـاهيم والتمثـيلات الذهنيـة فـي حـين أن اللسـانيين يربطـون الطـراز فـي الغالـب ،سـواء بالكليـات اللسـانية (.. أو الأوائـل الدلاليـة) أو بعلامات لسانية دقيقة "20

في النهاية يمكن اعتماد تعريف المقولة كما جاء في كتاب " الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية " كما يلي : المقولة : " هي العملية العقلية التي تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها ، لذلك فإن كل شيء متعلق بعالم الإنسان محكوم بالمقولة ، فأفكارنا وإدراكنا الحسي وحركتنا وكلامنا جميعها نشاطات تقوم على المقُولة ، فكلما قصدنا إلى إنجاز نوع من الحركة أو قول شيء ما أو كتابة شيء ما فنحن نستعمل المقولات ، فالمقولة تؤسس لكل ممارساتنا الإدراكية ، وتحكم نشاطنا الذهني واللغوي ، فلا يمكننا عمل أي شيء في عالمنا الفيزيائي ، وفي مجتمعنا ، وفي حياتنا الفكرية دون مقولة ؛ لأن المقولة أمر مركزي في فهم عملنا الإنساني ، وهي تتم بصورة آلية لا واعية ،ففي حركتنا في هذا العالم نحن نمقول بصورة آلية الناس ، والحيوانات والأشياء الفيزيائية وغيرها ،بل إن نسبة كبيرة من مقولاتنا هي مقولات كيانات مجردة ، فنحن نمقول الأحداث والحركات والمشاعر ، وعلاقات القرابة والعلاقات الاجتماعية والحكومات والسياسات وغيرها "21

فتنظيمنا للأشياء يُعد من المقولة ، ورصف المعاني الذهنية من خلال العمليات التي تحدث داخل الذهن بشكل لا إرادي هو أيضًا من المقولة ، فالمقولة على ما تقدم تشمل جميع مناحي حياتنا سواءً المدرَك بالحس أو ما يحدث داخل الذهن البشري ، ورصف المعاني وتنظيمها في الذهن يتبعةويناسبه رصف للألفاظ وتنظيما في اللغة .

ثانيًا – الفهم: Perception / Cognition

يقول الدكتور عطية سليمان : " يقوم المعنى في علم الدلالة العرفاني على دعائم أساسية (المقْولة ، والفهم ، والخيال ، والتجسيد) التي تعد مفاتيح أساسية لإدراك المعنى ولإعادة فهم ذواتنا ، وفهم العالم من حولنا ، وفهم اللغة والإبداع ، فالمعنى عند علماء علم الدلالة العرفاني يمثل الربط بين الإنسان وما حوله ، ولهذا تعد الأسس السابقة وسيلة العقل في إدراك المعنى والتواصل بين الإنسان وعالمه ، فنحن لا ندرك ما حولنا ، ونتفاعل معه إلا من خلال هذه الدعائم التي تُعد الخطوات الأساسية إلى فهم المعنى "22

علم الدلالة الإدراكي / العرفاني / المعرفي/ العرفني هذه النظرية التي تقوم على دراسة المعنى ، والمعنى عملية تصاغ في الذهن ، ولكي يصل الذهن إلى هذه الصياغة لابد له من آلية إدراكية ، هذه الآلية تبدأ بتحديد الأشياء وتجزئتها ويتم ذلك من خلال المقْولة التي تساعد على عملية الإدراك والاستيعاب فيصل الذهن إلى مرحلة الفهم في هذه الرحلة يستعين الذهن بالخيال والتجسيد ، " هذا يعني أننا لإدراك ما حولنا مما في الكون (صغير أو كبير) يجب أن نحدده ونجزئه بـ (المقولة) لكي نفهمه ، ونستوعبه ، وندركه بـ (الفهم) وفي سبيلنا لتحقيق هذا نستعين بالتخيل والتجسيد ، فهما وسيلتنا للفهم والإدراك لما لم نره من الأشياء المادية والمعنوية ، فيقوم المتكلم بتحديد مقصده ، ويوضحه لسامعه مستعينًا بالخيال والتجسيد والاستعارة من أشياء أخرى يكون جسده وإحساسه به غالبًا محور استعاراته "23

إن صياغة االمعنى هذه العملية التي يقوم الذهن بها ، ومن ثم يستقبلها المتلقي الذي يفكر ويُعمل عقله للوصول إلى مرامي المتكلم ومقاصده التي قد لا تعطيها الألفاظ المنطوقة فقط لذا فإن " المنهاج العرفاني يفتح باب الحوار مع النص ، مما يجعل المستمع يفكر فيما وراء النص بل يجعله في عملية استنطاق دائم للصوره ، وتوليد معانٍ جديدة منها

يستشرفها كل مستمع بطريقته في الفهم ، بما يفيد في فهم اللغة والعالم من خلال العلاقات الإضمارية في الأشياء "24

لذا قيل بأن علم الدلالة الإدراكي / العرفاني / المعرفي / العرفني نظرية في الفهم " فقد أسس العرفانيون لرؤية إنسانية نسبية للفهم تتجاوز الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية ، وهي الرؤية التي تتبناها النظريات الموضوعية التي رفضت " الفهم " لأنه مفهوم يستدعي الذاتية الإنسانية في تحقيق المعنى الموضوعي بطبعه – في نظرها – بمعزل عن أي إدراك فردي له ، ذلك أن المعنى عندها موجود سلفًا قبل وعينا به "25

إن المعنى شيء مهم لا يمكن الاستغناء عنه وخاصة في الدراسات اللغوية ذلك لأن " كل الوحدات الرمزية التي تلجأ إليها اللغات لا وزن لوجودها ولا مبرر له إن لم يكن لها معنى ينبغي أن تؤديه ، متعاضدة في ذلك مع الوحدات المتواجدة معها في نفس السياق والمقال . وما دامت اللغة لا يمكنها أن تعكس الواقع الموضوعي كما هو ولا أن تُقدم صورة فوتوغرافية وفيّة له ، وما دام دورها لا يمكنه إلا أن يكون تصورًا لذلك الواقع ، وبالضرورة إعادة تشكيل له يرجعان أساسًا إلى الأدوات والوسائل التي مُني بها الإنسان لإدراك ما حوله والتي فرضتها عليه تركيبته الجسدية ومنزلته البشرية ، فإن معنى عبارة لغوية لا يكمن في إمكانية الحكم بالصدق أو الكذب على مضمون عبارة ما ؛ لأنه لا علاقة له بوجود ما يعبر عنه في العالم الخارجي وبعدم وجوده ، وإنما هو رهين مضمون العبارة الدلالي التصوري والطريقة التي اعتمدت في بناء ذلك المضمون وصياغته ولذلك يجب البحث عن المعنى في العمليات الذهنية العرفانية التي يلجأ إليها المتكلم وينجزها لصياغة خطابه ، والتي يلجأ إليها السامع لفك رموز ذلك الخطاب وإدراك محتواه . فكل عبارة تفرض صورة خاصة في مجالها ، وهذه الصور المختلفة تجسم قدرة الإنسان على إدراك نفس المضمون بطرق مختلفة وتشكيله في صيغ مختلفة . فالمتكلم الذي ينظر إلى السماء ليلًا يمكنه أن يرى النجوم

المعلقة في السماء فيميز مثلًا بين الدب الأكبر والدب الأصغر ، أو أن يرى فيها مجموعات من النجوم لا أكثر ولا أقل إن لم تكن له أبسط المعارف الفلكية ، بل يمكنه ألا يرى إلا نقاطًا مضيئة "26

وسواءً أكان العلم : علم الدلالة الإدراكي (دراسة المعنى في الذهن) أم علم الدلالة (دراسة المعنى المعجمي) ، أو التداوليات (دراسة المعنى في الاستعمال) فجميعها يرتبط بالمعنى الذي هو غاية المتكلم من كلامه أو المعنى الذي يريد توصيله للمتلقي ، وإذا كانت اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ، أو " نظام بشري غير غريزي لتبليغ الأفكار والأحاسيس والرغبات بوساطة رموز " ، أو " نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بواسطتها التعاون بين أفراد مجموعة اجتماعية معينة " ، أو " نمط ثقافي منتظم يُمَكِّن الناس من التواصل والتعامل فيما بينهم بوساطة رموز اعتباطية شفوية سمعية متعارف عليها 27"

فإن هذه التعاريف جميعها تشترك في معنى الأداء اللغوي البرجماتي التداولي وهو الذي يتعلق بالغرض الذي من أجله تكلم الإنسان ؛ فاللغة تعد وظيفة لتوصيل هذا الغرض وهذا ما أشار إليه ابن جني – رحمه الله – من كون اللغة أصواتًا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، أو أشارت إليه بقية التعاريف السابق ذكرها .

المعنى – إذن – هو محور دراسة هذه العلوم ، والكلمة تعطي معناها من خلال دورها في السياق ؛ فالوظيفة التي تؤديها الكلمة لن تتم إلا من خلال العلاقة السياقية ؛ فالكلمة عضو في السياق العام للنص ، وهي مثل الأعضاء في جسم الإنسان ؛ فالعضو إذا انفصل عن الجسم فقد وظيفته وإن بقي مسماه ، " ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية والمفردات التي تشمل هذه البنية ، والتفاعل القائم بين المفرد ووظيفته النحوية من خلال سياقه النصي "28 ، والسياق جزء من القرائن المتعددة التي يجب مراعاتها عند دراسة المعنى ، والتي استبدلتها

اللسانيات الإدراكية ، وأصبحت تسمى بدراسة المحيط ؛ لأنه لا يمكن فصل المحيط عن الذهن عند دراسة المعنى عند الإدراكيين ، فأصبحنا نسمع كثيرًا ونقرأ : العقل المتجسد ، واللغة في الجسد ، وفلسفة الجسد ، والاستعارات التي نحيا بها ، والاستعارات الحية ، والمحيط والبنية الإدراكية ، وغيرها من المصطلحات التي

تشير إلى مدى ارتباط الإنسان المتمثل في الذهن / العقل بمحيطه أو ببيئته التي يعيش فيها ." ثمة في تصوري ضرورة ملحة إلى ملمح بالغ الأهمية في مستحدثات المقاربة الإدراكية خلال ابتعادها عما تسميه مونيكا كوارت Monica Cowart برنامج البحث الإدراكي الكلاسيكي Cognitive Classicist Research Program، وأقصد بذلك انبثاق نظرية الجسدنة Embodiment التي تعني أن الأفكار ، والمشاعر ، والسلوك ، كل ذلك يتأسس على التفاعل الجسدي مع البيئة المحيطة . لقد أدى انبثاق هذه النظرية واتساع رقعة تبنيها إلى جعل التفاعل الجسدي مع العالم هو بؤرة التركيز ، ومن ثم أدى ذلك إلى تحول " إبستمولوجي " من النظر إلى العقل الإنساني بوصفه مجرد نظام حوسبي له خصائص التصميم التي لحاسوب حديث ، إلى النظر إليه بوصفه نظامًا بيولوجيًا (صممته) قوى التطور المنظِّمة . ومن ثم يذهب علم النفس التطوري إلى أن العقل يتكون من عدد ضخم من الآليات المتخصِّصة التي صُمم كل منها لحل مشكلة تكيُّفية مختلفة 29"

لذلك كان مفهوم علم الدلالة الإدراكي يرتبط دائمًا بتعامل الذهن البشري مع العالم وتفاعله مع المحيط لأن " هذا العلم يبحث عن المجال المعرفي والتصوري للعقل البشري في تعامله مع العالم وكيفية تفاعله مع

المحيط الخارجي والمدركات الموجودة فيه ، ويركز على التمثيلات الذهنية والصيرورات الإدراكية . ويؤكد حقيقة مفادها أن تعريف صنف لغوي وتحليله يستدعي وصفًا وتحليلًا شاملًا لكل عناصره وجزئياته ، وليس تعريفًا وتحليلًا مجردًا له ، لأن النظرة الإدراكية إلى اللغة هي أنها جزء من المعرفة الموسوعية العامة ، ويَعُد الإدراكيون اللغة ملكة ذهنية إدراكية ، لأنها أداة لتنظيم المعلومات والخبرات ومعالجتها ، وتمثل الدلالة نواتها "30

فالعقل في نظر الإدراكيين عبارة عن صندوق ، ولكنه صندوق حي تتم فيه الأنشطة الذهنية ، وهذه الأنشطة لا تتم بشكل منفصل بل هي أنشطة متداخلة يؤثر بعضها في بعض ، ويتأثر بعضها من بعض آخر ، فالتعامل الذهني مع الأشياء يتم بشكل موسوعي .

وإذا كان الإدراكيون أسسوا لرؤية إنسانية نسبية للفهم تتجاوز الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية ، فهم بذلك فتحوا باب الحوار من أجل استنطاق الأشياء ، والوصول إلى ما ورائها ، والنص اللغوي في بؤرة هذا الحوار " هذا يعني أن المعنى – عندهم – موجود في الأشياء كمكون طبيعي لها ، وما نقوم به هو التعرف عليه ، وهذه المعرفة تختلف من شخص لآخر ،، وهذا الاختلاف لا يغير شيئًا من طبيعة الأشياء ومعناها ، فهو موجود سلفًا فيها ، والتغيير الحادث [في المعنى] فينا نحن ، حيث نفهم أو لانفهم هذا المعنى ، أو ذاك ، فكلمة (شمس) تشير إلى الشمس بكل خصائصها قبل أن نعرف كل شيء عن (الشمس) ، وكذلك كلمة حرية أو ديمقراطية ، إذن فالفهم قيد شخصي يخص إدراك الفرد للأشياء ، ولكن المعنى أكبر من الإدراك المحدود للأشخاص ، ولذلك لو أخذنا الفهم بمفهوم أوسع سنجعله نتيجة للإدراكات المختلفة للمعنى ، ويظل معنى الكلمة (من بعد الفهم الحالي) قادرًا على إنتاج فهم آخر ، بل مفاهيم جديدة ، ورؤية إنسانية متجددة

لا تقف عند حقائق نهائية ثابتة كما في الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية "31

ويمكن الإشارة إلى مصطلح تُدُوِل كثيرًا لدى علماء التفسير وهو (المنطوق والمفهوم) فتداول هذه المصطلح يدل على معرفة هؤلاء العلماء بموسوعية الفكر ، وطبيعة الذهن البشري حيث لا يقف عند حدود اللفظ ؛ بل يتجاوزه إلى ما وراءه من معانٍ ومفاهيم ،

والمنطوق " هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق . أي أن دلالته تكون من مادة الحروف التي ينطق بها . والمنطوق يشمل خمسة أنواع وهي :

1 – النص

2– الظاهر

3– المؤول

4– الاقتضاء

5– الإشارة . "32

والمفهوم " هو ما دل عليه اللفظ ولكن ليس في محل النطق – وينقسم إلى قسمين – :

1– مفهوم موافقة

2– مفهوم مخالفة ."33

فالدلالة كما ورد في قول السيوطي تأتي على أربعة أنواع :

1 – دلالة المنطوق : تأكيد الكلام السابق ذكره " ما دل عليه اللفظ في محل النطق "34

2 – دلالة المفهوم : تأكيد المعني المتضمن في الكلام السابق " ما دل عليه اللفظ ، لا في محل النطق

3 – دلالة الاقتضاء : وهي معنى مقدر مقصود توقف صدق الكلام أو صحة معناه على تقديره

فالكلام يقتضي هذا التقدير .

4 – دلالة الإشارة : دلالة اللفظ على معنى لازم غير مقصود للمتكلم ، لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته . "35

يقول السيوطي " ثم إن توقفت صحة الكلام على إضمار سميت دلالة اقتضاء ، نحو:(واسأل القرية) ، أي أهلها ، وإن لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) على صحة صوم من أصبح جنبًا ، إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبًا في جزء من النهار "36

إن تعدد الدلالات من منطوق ، ومفهوم ، ودلالة اقتضاء ، ودلالة إشارة عند علماء اللغة والتفسير القدامى ؛ لهو دليل على فهم هؤلاء العلماء لموسوعية الفكر في الذهن البشري ، وتاثر هذا الفكر بمحيط الذهن ؛ مما يجعل النص متعدد الاستنطاق ، مرن التأويل ، لا يقف عند حدود اللفظ ، أو ظاهر الكلام .

إن الأساس في الفهم هو الذهن " فبالذهن يدرك الإنسان ما حوله ويتفاعل معه ، وعلى أساس من الذهن وعمله جاءت الاستعارة المفهومية لتثبت دورها في عملية الفهم ، فهي وسيلة من وسائل الذهن في الفهم ، ولكن هناك تعارض فيما يتعلق بالعقل (الذهن) طبيعة ، ومادة ، واشتغالًا ، بين النظرية الفلسفية الكلاسيكية ، وما جاءت به النظريات العرفانية ، أي ما بين الرؤية الموضوعية والرؤية الواقعية التجريبية "37

فاللفظ قد يتجاوزه المعني ، فالمعنى قد لا يتوقف عند حدود اللفظ ، وفي هذه الحالة تظهر وظيفة (العقل) ودوره في استنطاق النص وإخرج ما وراءه من معان لذلك حرص علماء اللغة والأدب والتفسير على عدم التقيد بدلالة الألفاظ فقط يقول الجاحظ : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تُسمى نصبةً . والنصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تُقصّر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة

صاحبتها ، وحلية مخالفة من حلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغوًا بْهرجا ، وساقطًا مُطَّرحا "38

وحينما تكلم شيخ البلاغيين " عبد القاهر الجرجاني " (ت 471 أو 474) عن الكلام وبين قيمته في إيضاح المعاني ، وإظهار مكنون الأذهان ، " فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالِمه ، ولا صح من العاقل أن يَفْتُق عن أزاهير العقل كمائمه ، ولتعطلت قُوى الخواطر والأفكار من معانيها ، واستوت القضية في موجودها وفانيها ، نَعَمْ ، ولوقع الحيّ الحسّاس في مرتبة الجماد ، ولكان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد ، ولبقيت القلوب مُقْفلة تتصوَّن على ودائعها ، والمعاني مسجونةً في مواضعها ، ولصارت القرائح عن تصرُّفها معزولة ، ولما عُرف كفرٌ من إيمان ، وإساءةٌ من إحسان ، ولما ظهر فرق بين مدح وتزيين ، وذم وتهجين "39

ولكن الشيخ يقر بأن اللفظ الذي توافرت فيه كل هذه السمات ، لا يستطيع أن يُبين عن المعاني وحده حيث إن " الألفاظ لا تفيد حتى تُؤلَّفَ ضربًا خاصًّا من التأليف ، ويُعْمدبها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب "40 ، فالألفاظ في رأيه تخدم المعاني ، وليست المعاني هي التي تخدم الألفاظ ، فالمعنى وُجِدِ أولًا ثم تبعه اللفظ يعبر عنه ويظهره للمتلقي " إذ الألفاظ خَدَم المعاني والمُصرَّفةُ في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكةَ سياستَها ، المستحقَّة طاعتَها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه ، وفيه فتْحُ أبواب العيب ، والتعرُّضُ للشَّيْن "41

إذا كانت الألفاظ خدم للمعاني ، فقد يأتي اللفظ معبرًا عن المعنى بشكل صريح دون حاجة إلى التأويل أو إعمال العقل / الذهن وهذا الضرب من

الكلام يفيد فيه اللفظ وحده ، أما الضرب الآخر من الكلام " لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة . ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض "42

إذا كان الإنسان ينظم الوجود من حوله في بُنى خطاطية ، وتمثل هذه الخطاطات شبكة تصورية تحدد إمساكنا الذهني بالعالم من حولنا ، فإن هذه الخطاطات في التصور الإدراكي تُعد شكلاً للمعنى ، " بل هي المعنى ذاته ، باعتبارها الشبكة التصورية التي تمثل نشاطاتنا الإدراكية ومعارفنا ، هذا المعنى الذي نلمسه في كل ما حولنا ، لأن كل ما نتمثله مُبنْين وفق خطاطات متنوعة ، القوة ، والدائرة ، والعمودية ، والربط ، والمسار ، وغيرها . فالبدائي عندما يرى الوجود من حوله دوائر متعاودة أو متعالقة ، في كل سلوك وفي كل فعل ، وفي كل تعبير ،وهو يعبر عن معنى ما وتصور ما للوجود ، هذا المعنى الذي يسقطه على كل ما حوله ، فهو يتمثل الكون وفق هذه البنية ، التي تختلف عن المعنى الذي يعطيه الإنسان الحديث للكون ، لأنه يتمثله عبر بُنى خطاطية مختلفة "43 ، فنظرة الإنسان للمحيط به تجعله ينظم المعاني وفقًا لما يراه ، أي أن المعاني الذهنية تصاغ متأثرة بما يراه الإنسان في محيطه الخارجي .

ثالثًا – التقابل الخطابي والنظرية الإدراكية في بعض آيات القرآن الكريم :

يمثل النداء أنموذجًا ثريًا لتوضيح النظرية الإدراكية ؛ حيث إن النداء أنموذج خطابي يكثر تداوله ؛ فلا تكاد تخلو العمليات التواصلية اليومية منه ؛ وقد كثر دوران أسلوب النداء في القرآن الكريم ، و خرج النداء عن حقيقته إلى أغراض متعددة يدركها متلقي الخطاب ، فإذا انعم النظر متلقي الخطاب في تنظيمات القرآن التركيبية (المقولات) يستطيع أن يفهم ما يوجه إليه التركيب ذهن المتلقي ليدرك ما يعنيه

التركيب ؛ ولم يصرح به ظاهره، ومن التنظيمات التركيبية الذي جاءت به الآية الكريمة :

1- أداة نداء + منادي (أي) + (بدل / وصف) + مضمون النداء (جملة إنشائية) + استئناف شرطي .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة 67

هذا التركيب الخطابي (النداء) وهو يتكون من أداة النداء " يا " والمنادى " أي " ثم يتبعه البدل أو الوصف " الرسول " ثم يأتي مضمون النداء جملة إنشائية تبدأ بالفعل الأمر " بلغ " ثم استئناف شرطي يتعلق بجملة الإنشاء " إن لم تفعل فما بلغت رسالته " ، وهذا التنظيم التركيبي الذي يعبر عن مقولة جاء تنظيمها غاية في البراعة والدقة والإعجاز والإيجاز ، فبالإضافة إلى ما تحمله مفردات هذا التركيب من معنى ظاهري يتمثل في الأمر بالتبليغ وعدم التقصير ، والإيمان بأن الله حافظ عبده وعاصمه من الناس ، والإقرار بالعلم بأن ما على الرسول إلا البلاغ ثم تأتي الهداية من الله ؛ فإن هذا التركيب حمل توجيهًا إدراكيًا للنبي –صلى الله عليه وسلم – يتمثل في ضرورة التنبُه والحذر إلى أنه إذا لم يفعل ما أمر به فسيكون مقصرًا في أداء الأمانة التي أوكلت إليه وهذا ما يأمله ويتمناه الكافرون

2- أداة نداء + منادي (أي) + (بدل / وصف) + مضمون النداء (جملة إنشائية) + عطف إنشائي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة 119

في هذا التركيب الخطابي (النداء) وهو يتكون من أداة النداء "يا " ثم المنادى " أي " ثم البدل أو الوصف "الذين " اسم موصول له صلة مخصِصة " آمنوا " ثم جملة مضمون النداء جملة إنشائية "اتقوا وعطفت عليها جملة أخرى " كونوا " هذه الآية الكريمة بتنظيمها التركيبي البليغ

في ظاهرها دعوة إلى الإيمان والتقوى ومرافقة الصادقين ، ولكن عند إمعان النظر في الآية نجد أنها تحمل توجيهًا إدراكيًا للمؤمنين للتنبُه والحذر من سلوك سبيل الكاذبين ؛ لأنهم إن لم يكونوا من أهل الصدق فقد يؤثر ذلك على تمام التقوى لله عز وجل .

3- أو التنظيم التركيبي الذي جاءت به الآية الكريمة :

أداة نداء + منادى (أي) + (بدل / وصف) + مضمون النداء (جملة شرطية)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات 6

وفي هذا التركيب الخطابي الذي يُوجَه إلى المؤمنين ؛ وهو عبارة عن أداة نداء " يا " ومنادى " أي" يتبعه وصف أو بدل اسم موصول " الذين " متبوع بجملة الصلة " آمنوا " وبعده جملة مضمون النداء جملة الشرط " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " ، وهذه الآية في ظاهرها دعوة للمؤمنين بأن يتثبتوا من الأخبار التي ترد إليهم حتى يأتي حكمهم على الناس عن بينة وبصيرة ؛ وهي – أيضًا – تحمل توجيهًا إدراكيًا للمؤمنين بالتنبُه والحذر لأن ناقلي الأخبار ليسوا سواء فقد يكون منهم من يظهر الود ويضمر العداوة وفي هذا من الخطر و الضرر ما قد يعود عليهم وعلى غيرهم ؛ لذا وجب التنبه والحذر حتى لا تكون عاقبة ذلك الندم .

الهوامش

(1) ينظر : تحقيقات فلسفية : لودفيك فتغنشتاين ، ترجمة : عبد الرزاق بنور ، ص 117 ، وما بعدها ،

(2) "الأنطولوجية أحد بحوث الفلسفة الرئيسة الثلاث ، وهو يشمل النظر في الوجود باطلاق ، مجردًا من كل تعيين أو تحديد ، وهو عند أرسطو علم الموجود بما هو موجود ، وبهذا سُمي بمبحث الميتافيزيقا العام ويترك البحث في الوجود من نواحيه المختلفة للعلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية " ينظر في ذلك :

" المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ، ص 26 .

(3) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص 8 .

(4) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص 8 ، السابق .

(5) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص 8 ، السابق .

(6) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص 8- 9 ،السابق .

(7) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص32 ، السابق .

(8) " المقولة في نظرية الطراز الأصلية : د عبد الله صولة ، ص 372 – 373 .

(9) بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة عرفانية : عبد الإله سليم ، ص 131 – 132 .

(10) ينظر : دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص43 – 49 ، مرجع سابق .

(11) بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة عرفانية : عبد الإله سليم ، ص 131 ، مرجع سابق .

(12) المقولة في نظرية النموذج الأصل : أ .د عبد الحميد عبد الواحد و أ محمد خروف ، ص 96 .

(13) القاموس الموسوعي للتداولية : جاك موشلر ، وآن ريبول ، ترجمة : مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب ، ص 416.

(14) القـــاموس الموســـوعي للتداوليـــة : جـــاك موشـــلر ، وآن ريبـــول ، ترجمـــة : مجموعـــة مـــن الأســـاتذة والبـــاحثين مـــن الجامعـــات التونســـية بإشـــراف عـــز الـــدين المجـــدوب ، ص 418 ، المرجع السابق .

(15) القـــاموس الموســـوعي للتداوليـــة : جـــاك موشـــلر ، وآن ريبـــول ، ترجمـــة : مجموعـــة مـــن الأســـاتذة والبـــاحثين مـــن الجامعـــات التونســـية بإشـــراف عـــز الـــدين المجـــدوب ، ص 413 ، المرجع السابق .

(16) الفلســـفة فـــي الجســـد : جـــورج لايكـــوف و مـــارك جونســـون ،ترجمـــة : عبـــد المجيـــد جحفة ، ص 9 .

(17) الفلســـفة فـــي الجســـد : جـــورج لايكـــوف ، ومـــارك جونســـون ،ترجمـــة : عبـــد المجيـــد جحفة ، ص 56 ، السابق .

(18) الاســـم والاســـمية والإســـماء فـــي اللغـــة العربيـــة مقاربـــة نحويـــة عرفانيـــة : توفيـــق قريرة ، ص 14 .

(19) علـــم الدلالـــة والعرفانيـــة : راي جاكنـــدوف ، ترجمـــة : عبـــد الـــرزاق بنـــور ، ص 161 .

(20) اللغة والمعرفة رؤية جديدة : صابر الحباشة ، ص86 .

(21) الاســـتعارة القرآنيـــة فـــي ضـــوء النظريـــة العرفانيـــة (النمـــوذج الشـــبكي– البنيـــة التصورية– النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 54 .

(22) الاســـتعارة القرآنيـــة فـــي ضـــوء النظريـــة العرفانيـــة (النمـــوذج الشـــبكي– البنيـــة التصورية – النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 54 ، السابق .

(23) الاســـتعارة القرآنيـــة فـــي ضـــوء النظريـــة العرفانيـــة (النمـــوذج الشـــبكي– البنيـــة التصورية – النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 56 ، السابق .

(24) الاســـتعارة القرآنيـــة فـــي ضـــوء النظريـــة العرفانيـــة (النمـــوذج الشـــبكي– البنيـــة التصورية – النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 73 ، السابق .

(25) دراســـات نظريـــة وتطبيقيـــة فـــي علـــم الدلالـــة العرفـــاني : محمـــد الصـــالح البـــوعمراني ، ص 8 ، مرجع سابق .

(26) مدخل إلى النحو العرفاني : عبد الجبار بن غريبة ، ص 46 –47 ..

(27) منقـول مـن توطئـة كتـاب : اللسـانيات النشـأة والتطـور : أحمـد مـؤمن ، رمـز V – VI.

(28) " مـــنهج فـــي التحليـــل النصـــي للقصـــيدة تنظيـــر وتطبيـــق " : محمـــد حماســـة عبـــد اللطيف ، ص 115 .

(29) الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية : د . محي الدين محسب ، ص 23 .

(30) " علم الدلالة الإدراكي : المبادئ والتطبيقات " : دلخوش جار الله حسين ، ص 55 .

(31) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي– البنية التصورية – النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 55 ، مرجع السابق .

(32) نفحات من علوم القرآن : تأليف محمد أحمد معبد ، ص 109 .

(33) نفحات من علوم القرآن : تأليف محمد أحمد معبد ، ص 112 ، السابق

(34) الإتقان في علوم القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص 104– 105 ، الجزء 3 .

(35) الاتقان في علوم القرآن : السيوطي ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص96 ، ج3 ، السابق .

(36) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : ص 96 ، ج3 ، السابق .

(37) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي– البنية التصورية – النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 58 ، مرجع سابق .

(38) البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ص 76 ، ج1 .

(39) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ص 14 .

(40) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ص 14 ، مرجع سابق .

(41) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ص 16–17 ، مرجع سابق .

(42) معاني النحو : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ص 20 .

(43) " البنية والمعنى ، الأيدولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا ....: محمد الصالح البوعمراني ، ص 42 .

المراجع :

1- القرآن الكريم

2- الإتقان في علوم القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء 3 ، دط ، دت ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية

3- الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية : د . محي الدين محسب ، الطبعة الأولى 2017 م ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

4- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي- البنية التصورية- النظرية العرفانية): أ .د عطية سليمان أحمد ، ص 54 ، الطبعة الأولى 2014 ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر .

5- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ص 14 ، الطبعة الأولى 2001 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

6- الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية : توفيق قريرة ، ص 14 ، الطبعة الأولى 2011 م ، مطبعة التسفير الفني ، صفاقس ، تونس .

7- بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة عرفانية : عبد الإله سليم ، ص 131 – 132 ، الطبعة الأولى 2001 م دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب .

8- البنية والمعنى ، الأيدولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا ....: محمد الصالح البوعمراني ، ص 42 ، مجلة الخطاب ، العدد (20) 2015 م ، مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي- وزو ، الجزائر .

9- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ص 76 ، ج1 ، الطبعة السابعة 1998 م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .
10- تحقيقات فلسفية : لودفيك فتغنشتاين ، ترجمة : عبد الرزاق بنور ، ص 117 ، وما بعدها ، الطبعة الأولى 2007 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان .
11- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : محمد الصالح البوعمراني ، ص 8 ، الطبعة الأولى ، 2009 م ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس .
12- علم الدلالة الإدراكي : المبادئ والتطبيقات " : دلخوش جار الله حسين ، ص 55 ، مجلة كلية الآداب ، العدد (110) ، 2014 م ، جامعة بغداد ، العراق .
13- علم الدلالة والعرفانية : راي جاكندوف ، ترجمة : عبد الرزاق بنور ، ص 161 ، دط 2010 ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس .
14- الفلسفة في الجسد : جورج لايكوف و مارك جونسون ،ترجمة : عبد المجيد جحفة ، ص 9 ، الطبعة الأولى 2016 م ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان .
15- القاموس الموسوعي للتداولية : جاك موشلر ، وآن ريبول ، ترجمة : مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب ، ص 416 ، الطبعة الثانية 2010 م ، دار سيناترا ، تونس .
16- اللسانيات النشأة والتطور : أحمد مؤمن ، الطبعة الثانية 2005 ، دار المطبوعات ، الجزائر
17- اللغة والمعرفة رؤية جديدة : صابر الحباشة ، ص86 ، الطبعة الأولى 2008 م ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا .

18- مدخل إلى النحو العرفاني : عبد الجبار بن غريبة ، ص 46 -47 ، الطبعة الأولى 2010 م ،كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ، تونس .
19- معاني النحو : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ص 20 ، الطبعة الأولى 2000 م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
20- المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ، ص 26 ، دط 1983 ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة
21- المقولة في نظرية الطراز الأصلية : د عبد الله صولة ، ص 372 – 373 ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد (46) 2002 م ، تونس .
22- المقولة في نظرية النموذج الأصل : أ .د عبد الحميد عبد الواحد و أ محمد خروف ، ص 96 ، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية ، الإصدار الأول ، العدد الثالث ، أغسطس 2016 ، تونس .
23- منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق " : محمد حماسة عبد اللطيف ، ص 115 ، مجلة فصول ، مجلد 15 ، العدد 2 ، صيف 1996 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .
24- نفحات من علوم القرآن : تأليف محمد أحمد معبد ، ص 109 ، الطبعة الأولى 1986 ، مكتبة طيبة ، المدينة المنورة ، السعودية .